فقدان الوعى

أشعل عود ثقاب ،تأمل الشرر .الوهج .اللهب أشعل سيجارة يحدق فى جمرها وهى تأكل فى القلب وتوغل فى التبغ ،الدخان الأبيض يدور حول جمجمته ويعاود الدخول إلى الأنف والأذنين ،ينفث الدخان فيدور حول اللمبة المعلقة فى السقف كخفاش فيرسم أشكالا خرافية ..

فى بلاد النفط راودته التى هو فى بيتها عن نفسها وغلقت الأبواب ولوحت فى وجهه بعقد عمل دائم و هى الكفيل .

لما تحسس الدولارات هم بها وهمت به لولا أن رأى سيدها فى الغرفة المجاورة يقبل خادمته الفلبينية بين أسنانها إبتلع لسانه وأحس أعضائه تنكمش إلى الداخل ،تذكر نصيحة ذالك السفرجى النوبى الذى أتى إلى هنا فى سن العشرين والآن هو فى الستين من عمره يضاجع الأوجاع وآلآم الغربة المزمنة .

-- "خلى بالك يا ولدى فى البلد دى الست تجيب رجلك فى الخية وبعدين ترميك زى عقب السيجارة "

إبتسمت الأميرة وفكت عنه قيود الخجل..

ـــ "تعالى انت شاب لك مستقبل"

ظل طوال أسبوع يراود نفسه عنها لولا أن شاهد جمهرة قصاص والسياف يلكز المتقرفص فى وسط الحلقة وفى لحظة مباغتة ينتزع جمجمته.

رغم عودته من بلاد النفط من عدة شهور لازال العرق يلوث ملابسه وتلك الذكريات تلوث أفكاره والدم المنزوف من الجسد الذى فقد رأسه لما ضرب السياف عنق المتقرفص فطارت الرأس فى الهواء كالكرة واندفع الدم كنافورة واندفع الماء الساخن فى سرواله ،الرجفة لم تعد تفارقه تراقصه كإمرأة قبيحة تزلزل عظامه .

الشهادة الجامعية أرخص من ورق البفرة الذى يلف به الحشيش

.فى السفر سبع فوائد وسبع مصائب أيضا

البنت التى وهبته تفاحتيها واعدها لمشاهدة فيلم صعيدى بيحلم . طوال الفيلم ملتصقة به تتمنى لو يقطف تفاحتيها لكنه كان يحلم بفرصة لكسب الخبز .

قرأ عن الجن والشياطين ونام فى الأماكن الخربة منتظرابليس ليأخذه الى عالم الخيال .لكن ابالسة الانس حاوطته ومزقت أحلامه .

فى الليل يتسلق ليصعد إلى القمر لكن الجازبية تجره إلى السحيق.

حاول تقليد الطيور فوجد العالم كقفص كبير أبوابه إلى الجحيم.

الرجفة تنتابه"يرتعد بشدة كلما واجهته البنت بتفاحتيها يقسم لها أنه صائم و فى فمه بقايا ثمرة نيئة .

أمه ترتق أحلامه وتعجن له الحناء بماء الكبرياء،تحنى جروح قدميه لتلتئم تضع يدها الدافئة على صلعته وتبتسم.

فى الطريق إلى قبر والدة شاهد أعمى يستعطف السائحين ليهبه أحدهم عينين

وشاهد فأر يلتهم قط مرعوب ودجاجة تطارد ثعلب.

النياشين تلمع على صدر والده والرتب العسكرية على كتفيه داخل برواز قديم .

ووسام نجمة سيناء واضح جدا .

موسيلينى كان نفسه يحتل العالم ..معمر القزافى كان عظيم جدا لكنه مرووش شويه ..نتنياهو بيحب أكل الحمام العربى .

فى حرب أكتوبر عبرنا القنال على جسر من حثث الجنود المساكين وإرتفع علم مصر فوق سيناء وارتفع معدل اليتم والفقر وإرتفعت أرصدة الجنرالات فى بنوك سويسرا.

والدته تلملم بقايا ملابس والده الميرى وضباط سلاح المهندسين يجمعون نفايات الحرب وزكريات الألم.

لم يستطع البكاء لموت أمه .فقط كان يرتجف بشدة والماء الساخن ينساب فى سرواله ..

المرأة الباغية التى واعدها ليفرغ فيها قهره ودفع لها خمسةجنيهات إقترضهم.

لما نام جائته أمه فى المنام ،قطبت وجهها وقالت ..

"اللى يعمل كدة ما يبقاش إبن بطنى"

بصقت فى وجهه وارتدت أكفانها ومضت .

توضىء ليصلى لكنه إكتشف أنة نسى التشهد .

فوق سجادة الصلاة راودته الأميرة عن نفسها وقدت عليه ثوب السكينة من قبل ومن دبر

خرجت أمه من صورتها فى البرواز ،لكزته

"ليس للمؤمن من صلاته إلا ماوعى "

بعد أن انتهى صلاته إكتشف أنه نسى التشهد، وأجهش بالبكاء لما تأكد أنه نسى أن يتوضىء .

بعد أن كتب رسالة إلى من يهمه الأمر ،فقز من فوق كوبرى الجامعة وعلم إسرائيل يرفرف أمام عينيه على بناية عالية ،أغمض عينيه لتأخذه الدوامة إلى السحيق بحثا عن عزرائيل

أخذته الدوامة الى الشاطىء ليتأكد أنه ليس فى كابووس وأنه فقد أشياء كثيرة لكنه لم يفقد عينيه.

تذكر حكايات والده عن حرب الإستنزاف وحرب 73وساقه المبتورة والتى لايعرف هل دفنت أم إلتهمها كلب ..

الأميرة تمشى على وجه الماء،تراوده ليغرقا معا ،يمسح بقع الزيت من عينيه وصوت أمه يترددفى جمجمته .

"إخس عليك اللى يعمل كده ما يبقاش إبن بطنى "

صعد إلى منتصف الكوبرى ،إندفع بين السيارات والماء الساخن ينساب فى سرواله والرجفة تزلزله وعلم إسرائيل يلوح له من بعيد وأغربة كثيرة تحلق فى السماء ترقبه وكلاكسات السيارات فى عواء دائم ..

السياح يصوبون عدسات كاميراتهم الى صدره ..الى عينيه .الى علم إسرائيل ويضحكون والماء الساخن الذى ينساب من سرواله يزداد

يسجلون بفوهات كاميراتهم رجفة ساقيه .

سيارة مسرعة ترفعه فى الهواء

صوت الإرتطام يرج الكوبرى يزلزل السفارة الإسرائيلية القريبة ،يرعب الأغربة التى تحلق فى السماء تترقب .

ينزل من السيارة حارسان من البازلت،يلوحان بكرنيهات هوياتهم فى وجوه الجميع وفوهات مدافعهم الياعوزى .

عسكرى المرور يؤدى التحية العسكرية .

--"المرحوم هو اللى غلطان يا افندم "

السيارة تندفع ناحية السفارة وبعض الماره يمصمصون شفاههم

عجوز مصرية تخلع طرحتها الريفية فيظهر شعر رأسها الأبيض المصبوغ بالحناء ،تغطى الدم المعجون بالأسفلت ورجل مسن يمسك جريدة يومية قديمة يحاول تغطية وجه الشاب بورق الجرائد.

على غلاف الجريدة ..السادات يصافح بيجن.

إزداد عواء السيارات بينما صراخ سارينة سيارة الإسعاف لازال بعيدا ووجوه كثيرة ممطوطة تغمغم. .

جمهورية السودان الشجرة الخرطوم عام 2000